

استراتيجية الإمارات في اليمن.. الحلفاء الأعداء والمهام المنفصلة التي تستهدف قوات الدولة



كشفت صحيفة الغادريان البريطانية عن استراتيجية الإمارات في اليمن، وكيف تكسب العداء بشكل سريع بين اليمنيين ما يقوض وجودها الذي ينتعش على حساب فوضى الحرب الأهلية.

وقالت الصحيفة إن لدى الإمارات في اليمن ثلاث مهام مركزية منفصلة عن دعمها للتحالف الذي تقوده السعودية: أولاً، سحق الإسلام السياسي بأي شكل. ثانياً، السيطرة على خط الساحل ذو القيمة الاستراتيجية للبحر الأحمر - عبر مضيق ضيق من القرن الأفريقي، حيث أنشأت الإمارات بالفعل قواعد عسكرية في جيبوتي وإريتريا. وثالثاً، تطوير وتعزيز قواتها الخاصة، التي تدرب وتشرف على وكلاء محليين مثل قوات الحزام الأمني.

وتعتمد الإمارات في وجودها في اليمن على خطة من 16 نقطة كتبها مستشار سلفي يماني ضمن المجلس الانتقالي الجنوبي الانفصالي في 2016، تتضمن استهداف الأحزاب والغاء الانتخابات. لكن الدولة لم تحافظ على حلفاءها ولا عن قادة المقاومة الذين باشرتهم باغتيالات وقتل على الهوية تبعاً لوجودهم.

ونقلت الصحيفة عن أحد قادة المقاومة السلفيين الذي أوقف القتال إلى جانب الإماراتيين بغضب: "لماذا نرسل أفضل رجالنا للموت في الجبهة لمجرد أن الإماراتيين يريدون السيطرة على الساحل؟".

وتشير إلى لقاء لكاتب التقرير في غرفة فندق صغيرة في أحد الأجزاء الفقيرة من عدن، وقال: "جلست مع ثلاثة من قادة الحركة الجنوبية، الذين قاتلوا جميعاً ضمن المقاومة، وكانوا جميعاً يعتبرون أنفسهم أصدقاء الإماراتيين، وتلقوا منهم السلاح والمال وشحنات الذخيرة. لكن جميعهم قالوا إنهم في العام الماضي استُهدفوا من أجل اعتقالهم أو اغتيالهم من قبل قوات الحزام الأمني.

قال القادة الثلاثة إن: "الحرب مع الإماراتيين ليست سوى مسألة وقت". في تحذير أن هناك تحركات لمواجهة قوات الدولة الموجودة في اليمن.

وقد انضم الثلاثة الآن إلى معسكر الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي الذي تحاربه الدولة حالياً وتسعى لتقويض نفوذ حكومته التي تدخلت الدولة من أجل دعمها.

وقال الكاتب: سألت أحد الرجال - الذي قضى سنوات في حملة من أجل استقلال الجنوب - لماذا يتآمر فجأة ضد الإماراتيين والمجلس الانتقالي الجنوبي. أجاب "أردنا الجنوب على أساس مؤسسات الدولة، وليس الميليشيات". مضيفاً: "ما لدينا الآن هو حالة من الفوضى حيث يقتل المسلحون المقنعون ويحتجزون السكان كما يحلو لهم. هذا ليس الجنوب الذي قمت بحملات من أجله. فإما يأخذ الإماراتيون الجنوب ويعلنون عنه مستعمره خاصة، أو يجب عليهم احترام الشعب والرئيس".

وقالت الصحيفة: يبدو أن الإماراتيين هم أعضاء التحالف الوحيدون الذين لديهم استراتيجية واضحة. إنهم يستخدمون جيوشاً خاصة قاموا بتجهيزها ودرّبوا ومولوا جنودها في محاولة للقضاء على كل من المتشددین الجهاديين والأحزاب السياسية الإسلامية مثل الإصلاح.

عبر الساحل الجنوبي - حيث تتحالف الإمارات مع الحركة الجنوبية الانفصالية، التي تعارض كلا من الحوثيين وحكومة الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي - بنى الإماراتيون سلسلة من المعسكرات والقواعد العسكرية، وأسسوا ما هو في الأساس دولة موازية، خدماتها الأمنية الخاصة التي لا تخضع للمساءلة أمام الحكومة اليمنية.

كشفت منظمة العفو الدولية ومنظمة هيومن رايتس ووتش عن وجود شبكة سجون سرية تديرها الإمارات وقواتها بالوكالة، المتهمون باختفاء وتعذيب أعضاء الإصلاح ومقاتلي الحوثيين، وحتى نشطاء وناقذو للتحالف السعودي الإماراتي. وسبق أن أكد الوزراء اليمنيون للإشارة للإماراتيين على أنهم "قوة احتلال".

نماذج اليد الإماراتية

وفي ثنايا التقرير للصحيفة البريطانية، تشير إلى الأشخاص الذين تعتمد عليهم الدولة للقتال إلى جانبها، من بينهم أيمن عسكر الذي كان قبل أربع سنوات في سجن في جنوب اليمن، يقضي عقوبة بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل. لكن الآن هو رجل ثري وهام تقطع صداقاته الخطوط العديدة لقادة الحرب الأهلية التي جزأت ودمرت البلاد.

وقد تم مؤخراً تعيين عسكر رئيس الأمن في منطقة كبيرة في مدينة عدن الساحلية الجنوبية - التي عينتها الحكومة اليمنية عاصمة مؤقتة، عسكر هو أيضاً صديق وحليف لدولة الإمارات العربية المتحدة - الشريك الأكثر عدوانية في التحالف الذي تقوده السعودية التي تقاتل من أجل استعادة سلطة الرئيس عبد ربه منصور هادي، الذي أُجبر على ترك منصبه من قبل التمرد الحوثي في عام 2015.

لقد اجتذب السعوديون الجزء الأكبر من استياء العالم لتدخلهم في اليمن، لكن الإمارات تلعب دوراً أكثر قوة على الأرض - وحلفائها في الجنوب، بما في ذلك الميليشيات المحلية والمقاتلين السلفيين والانفصاليين في جنوب اليمن الذين يريدون الانفصال عن حكومة هادي.

اليوم يتحالف عسكر مع حكومة اليمن والإمارات، ولكن منذ فترة ليست بالبعيدة كان عضواً في تنظيم القاعدة، عدو كليهما. كان ثعباناً وثقيلاً، مع رأس شبيه برأس الثور على أكتاف عريضة قوية، شق طريقه نحو التسلسل الهرمي للسلطة في السجن: فقد كان يدير متجرًا للبقالة في ساحة السجن وصالة ألعاب بلاستيكية في إحدى الزنازين، صادق أقوى عصابة في السجن - مجموعة من نزلاء القاعدة. صلى معهم، وحضر فصولهم، وأطلق لحيته وبدأ يرتدي ملابس مثلهم، رغم أن أصدقائه يقولون إنه لم ينضم أبداً إلى التنظيم بشكل صحيح لأنه انتهازي أكثر من اللازم وليس له ولاء بقضية واحدة.

عندما غزا مقاتلو الحوثي من شمال اليمن، المدعومين من إيران، الجنوب وأطاحوا بالحكومة في العاصمة صنعاء - أُجبروا هادي على الفرار جنوباً إلى عدن، ثم إلى المملكة العربية السعودية إلى الخارج - كان عسكر لا يزال في السجن. لكن بسبب الفوضى التي أعقبت ذلك، اقتحم مقاتلو القاعدة السجن وأطلقوا سراح نزلاءه. انضم عسكر إلى المقاومة وحارب ضد الغزاة الحوثيين إلى جانب أصدقائه الجهاديين، حيث ميز نفسه كقائد ميداني لا يرحم وقسم وقته بالتساوي بين القتال والنهب.

وبعد بضعة أشهر، تم طرد الحوثيين من عدن من خلال مجموعة من الميليشيات المحلية والانفصاليين الجنوبيين والقوات الحكومية والقوات الإماراتية والسعودية.

ووسع عسكر من اهتماماته إلى ما هو أبعد من الجهاد وفرض جباية حماية على الميناء وابتزاز للحصول عمولة من كل شحنة تمر. أصدرت الحكومة سلسلة من مذكرات الاعتقال، لكنه نجا منها جميعاً. وكان قريباً من الضباط الإماراتيين الذين وصلوا كجزء من القوات التي استولت على المدينة - وقضى فترات طويلة في دبي وأبوظبي، وأقام علاقات. وقد كوفئ على صداقته بعقد عمل مريح، وانتقل منذ ذلك الحين إلى الأعمال المريحة لنهب مساحات واسعة

من الأراضي الزراعية حول عدن.

وقال الكاتب إنه التقى في الصيف بـ "عسكر" بينما كان يرفه أصدقاء في مزرعته شمال عدن. كانت المزرعة خصبة وخضراء وهادئة - عوالم بعيدة عن الشوارع المزدحمة والخانقة في عدن، وقال مازحا قصص من رحلته الأخيرة في الخارج. استأجر هو وصديق له ثلاث سيارات مرسيديس مع سائقيها، لنقلهم وزوجاتهم وأطفالهم حول منتجات حول منتجعات شرم الشيخ في مصر، ونقلهم إلى الحدائق المائية والشواطئ ومطاعم المأكولات البحرية.

قال عسكر للأصدقاء الذين تجمعوا حوله. "كان أسبوع من الجنة، كان الأطفال سعداء للغاية، ويمكن للمرء أن ينسى كل متاعب الحرب."

كيف ينظر سكان عدن للإمارات؟!

مع اعتقاد سكان عدن أن الإمارات تدعمهم، ظنوا أن مدينتهم سوف تصبح دبي القادمة، بالكهرباء والمياه والوظائف. وقد أخبرني المحافظ المتحمس، وهو جنرال سابق عاد من لندن للمساعدة في إعادة بناء المدينة، أن الشركات ستصب في المدينة، فعند تستأنف مجدها السابق. ميناءها، الذي كان راكدا قبل الحرب، سوف يستعيد مكانته. وسيتم إعادة فتح السفارات. في الأشهر التي أعقبت رحيل الحوثيين في عام 2015، تم الاحتفاء بالإماراتيين كمحررين، ورفعت أعلامهم على أكشاك في السوق، وزينت صور الحكام زوايا الشوارع والأسلحة.

في الشوارع، كانت الحقيقة مختلفة. كانت "عدن المحررة" تشبه المدن الأخرى التي دمرتها الحروب الأهلية التي أعقبت الربيع العربي، مع بقايا الدبابات والمركبات المدرعة التي تظهر على التلال، وتطل على مدينة ذات الشوارع الممزقة والمباني المدمرة التي طاحت فوق بعضها البعض مثل الويفر والفقراء الذين تركوا بلا مأوى وتحولوا إلى لاجئين في مدينتهم.

واستعيض عن ميليشيا الحوثي المهزومة بعشرات غيرهم في مدينة من دون مياه أو كهرباء أو شبكة صرف صحي. وأصبحت الحرب هي رب العمل الرئيسي، والشوارع مليئة بالمقاتلين الذين يركبون في مؤخرة شاحنات صغيرة محملة ببنادق رشاشة ثقيلة. وكان قادة جماعات المقاومة المتفرقة يطالبون بنصيبهم من الغنائم من مدينة محطمة فقيرة.

وقد قام أقوى هؤلاء القادة، مثل أيمن عسكر، بتأمين السيطرة على الموانئ والمصانع وأي مؤسسة لديها دخل، وفرض اتاوات على حمايتهم. واكتفى القادة الأصغر حجماً بنهب الممتلكات العامة والخاصة، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة ملكاً لأصحابها الشماليين.

وقال شيخ سلفي للغارديان: "عندما انتهت المعركة [في عدن]، تركنا في حالة من الفوضى، تم تقسيم المدينة إلى قطاعات، وكانت كل قوة أو ميليشيا تسيطر على جزء مختلف وتتصادم مع الآخرين".

بحلول نهاية عام 2015، أصبحت الحرب ضد الحوثيين غارقة بسبب التنافس بين أعضاء التحالف، وانتشار الميليشيات التي تسيطر على مناطق البلاد، وتوسع القاعدة في الجنوب. أحلام أهل عدن بأن مدينتهم الفقيرة سوف تزدهر بمساعدة إخوانهم الإماراتيين الأغنياء قد خفت إلى مشاعر الاستياء والإحباط. لقد كان الشيخ السلفي مقتنعاً بأنه يجب القيام بشيء ما.

قبل هذا الصيف في عدن، علقت اللوحات الإعلانية الضخمة في الشوارع. كان لديهم صور لولي عهد أبوظبي محمد بن زايد، إلى جانب هادي وحفنة من القادة الأقل رتبة - بعضهم أحياء وبعضهم مات. على الجدران كانت هناك رسومات كتابية مؤيدة للإمارات العربية المتحدة، وملصقات مزخرفة بأعلامها. لكن خلال الصيف بدأت شعارات "يسقط الاحتلال الإماراتي" تظهر.

إن انتفاضات الربيع العربي، والفوضى العنيفة التي أعقبت ذلك، خلقت تحولاً في ديناميكيات السلطة في العالم العربي. لم تعلن ممالك الخليج بصوت عالٍ فقط عن أمور جديدة للاستقرار في منطقة مزقتها الحرب الأهلية، بل استغلت أيضاً الفرصة لعرض قوتها الجديدة من خلال التدخل في صراعات جيرانها وتمويل وتسليح الميليشيات في سوريا وليبيا واليمن، ودعم انقلاب عسكري في مصر.

حفلة الاستقطاب

ومثل العديد من القادة اليمنيين، أصبح الشيخ زائراً منتظماً لدولة الإمارات العربية المتحدة، ويتمتع بكرم ضيافة

رعاه الجدد ويستريح من الوضع المتدهور في عدن. وخلال إحدى زيارته إلى أبو ظبي، قال إنه التقى بأستاذ مسن ومستشار لمحمد بن زايد، ولي العهد الإماراتي ورئيس قواتها المسلحة.

كان الأستاذ قد صاغ عبارة جديدة (خلجنة العرب)، والتي أصبحت شعبية بين النخبة الحاكمة في أبو ظبي. بالنسبة لبقية العالم العربي لكي ينجح، وفقاً للبروفيسور، فإنهم يحتاجون إلى اتباع نموذج الممالك الخليجية - التخلي عن الديمقراطية والتمثيل الشعبي في مقابل توفير الرخاء والأمن الماليين. كان الشيخ السلفي متحولاً فوراً ونقل ولاءه للإمارات.

في إحدى الليالي في أبو ظبي، بعد وقت قصير من مقابلة الأستاذ، جلس الشيخ في غرفته الفخمة في الفندق وبدأ في كتابة رسالة طويلة لحلفائه الإماراتيين: خريطة طريق لإنقاذ جنوب اليمن والتدخل الذي تقوده السعودية. بعد الثناء على الله ثم امتدح الجنود الإماراتيون الشجعان، وقائدهم الحكيم محمد بن زايد، ثم قام بسرد المشاكل التي تهدد المغامرة الإماراتية في اليمن.

في بيان من 16 نقطة بعنوان "خريطة الطريق لإنقاذ عدن"، دعا إلى تشكيل قوة أمنية جديدة تتألف من مقاتلي المقاومة، وإنشاء خدمة استخبارات جديدة، وتنفيذ "الخلجنة" "Gulfication" عن طريق حظر الأحزاب السياسية، والانتخابات. "كان علينا هزيمة القاعدة واستخدام الجنوب كمثال على كيفية تنفيذ الاستراتيجيات الجديدة للخليج"، كما أوضح.

وحذر من أن العواطف الانفصالية تكتسح عدن، واقترح على أبوظبي أن تستفيد من هذه اللحظة من خلال رعاية فصيل مخلص من الانفصاليين - وذلك جزئياً لمنع قوة أخرى، مثل قطر أو إيران، من المشاركة في الحركة الجنوبية.

وقال الشيخ السلفي للغاردان: "أنظر، أنا أعمل من أجل الإماراتيين كمستشار وأريدهم أن ينجحوا". مضيفاً "مصائرنا متشابكة: إذا فشلت وقررت الرحيل، ستكون كارثة وستدمر عدن. أعلم أنني أحتاج إلى الإماراتيين وأنا معتمد عليهم - وفي الوقت نفسه، لست ساذج. أعلم أن لديهم مشروعهم الخاص، ولديهم أهدافهم وخدمتهم الخاصة، لكن لا بأس في التعاون معهم."

بعد عودته إلى عدن، عمل الشيخ مع جنرال إماراتي لتكوين وتدريب قوة أمنية جديدة موالية له وقادرة على مواجهة التهديد الجهادي المتزايد. وبينما كان الجميع علانية يطالبون بمساعدة مؤسسات الحكومة اليمنية وإعادة بناء جيش

حديث، كان الواقع هو أن الإماراتيين أرادوا بناء قوة موالية لهم يستطيعون التحكم بها دون تدخل من الرئيس هادي، الذين رأوا أنه عقبة - خاصة وأنه تحالف مع عدو الإمارات، حزب الإصلاح.

وقال الشيخ السلفي: "لقد كان الجيش والشرطة اليمنيان الحاليان مؤسسات فاسدة وفاشلة. لقد أراد الإماراتيون قوة جديدة". وأضاف "كانت الخطة لتدريب وتجهيز قوة من 3000 رجل، لكننا انتهى بنا المطاف بقوة 13000، لذلك قمنا بتقسيمهم إلى أربع كتائب".

وأصبح الشيخ أحد القادة الكبار للقوة الجديدة - التي أطلق عليها اسم "الحزام الأمني" - وجميع قادة الكتائب كانوا جنوبيين وسلفيين، وكذلك بعض المقاتلين.

مع مرور الوقت، شكل الإماراتيون عدد من هذه الميليشيات، منتشرة عبر عدن وجنوب اليمن. يعمل قادتهم كأمرء حرب مستقلين، مع الدبابات والسجون والقوة الموالية لهم شخصياً. لا توجد قيادة مركزية تربط كل هذه القوى، ولا تملك الحكومة اليمنية سيطرتها عليها.

وبدلاً من ذلك، فإنهم يعملون مباشرة تحت قيادة القائد العام الإماراتي، الذي يعينهم ويتردهم حسب رغبته، ويوزع المكافآت وفقاً لتعاونهم وفعاليتهم. وعلى عكس وحدات الجيش الحكومي اليمني، بأعدادها الضخمة والجنود الذين يتقاضون أجوراً غير منتظمة، يحصل المقاتلون في القوات التي تسيطر عليها الإمارات على أجورهم بانتظام وهم يرتدون ملابس أفضل ومجهزة بشكل أكبر؛ هذه الجيوش أكثر تطرفاً ووحشية. إنهم يحتجزون ويذبحون ويقتلون مع إمكانية الإفلات من العقاب.

قابلت أحد قادة الحزام الأمني في قاعدته شمال عدن، بالقرب من نقطة تفتيش كبيرة تفصل المدينة عن محافظة لحج المجاورة، حيث كان للجهاديين وجود قوي للغاية. وقال إنه عندما وصل، احتجز مقاتلو القاعدة مواقع على بعد أقل من 200 متر. تم السيطرة على المقاطعة بأكملها من قبلهم.

وأوضح القائد كيف سيطرت قواته. وقال "لقد كانت معركة صعبة". "على مدى أسابيع، نمنا ما يزيد قليلاً على ساعتين أو ثلاث ساعات، وقمنا بدوريات في الشوارع وخطف المشتبه بهم من القاعدة ... كانت صيغة بسيطة. القادة والأشرار قتلناهم. أما هؤلاء الذين اعتبرناهم قليلي الخطر والقابلين للإصلاح - يقصد المتعاونين أو أصحاب المتاجر الذين تعاملوا معهم - عرضناهم للتعذيب والسجن، لكننا أطلقنا سراحهم بعد ستة أشهر عندما وقعوا تعهداً. بقية السكان نتفحصهم من خلال المخبرين".

المسؤولية عن تفريخ مجموعة حروب

في الأسبوع الماضي، أنتجت محادثات السلام التي رعتها الأمم المتحدة في السويد وقفًا مؤقتًا لإطلاق النار بين الحوثيين والقوات الموالية للحكومة في ميناء الحديدة في البحر الأحمر، وهو بوابة مهمة للمساعدات الإنسانية إلى البلاد. سيطر الحوثيون على المدينة منذ عام 2015، لكنها تعرضت للهجوم لعدة أشهر من قبل قوات التحالف الإماراتية السعودية، مما أدى إلى تحذيرات من كارثة إنسانية أسوأ. مع أن نصف اليمنيين يندفعون بسرعة نحو المجاعة.

وقالت الصحيفة: إذا استمر وقف إطلاق النار الهش - وهو أمر غير مؤكد - سيطلب من الجانبين سحب قواتهما من الميناء. هدنة ناجحة في الحديدة يمكن أن تمهد الطريق للتقدم في الجولة القادمة من المحادثات، المقرر عقدها في أواخر يناير/كانون الثاني القادم. لكن الحرب لم تنته بعد.

تقول الصحيفة: في الواقع، لم تعد حتى حرب واحدة. وقد بدأ الصراع مع خصمين واضحين - التحالف الذي تقوده السعودية متحالفًا مع الحكومة مقابل ميليشيا الحوثي التي تدعمها إيران. لكن القوى المدعومة من خارج الدولة - خاصة من الإمارات العربية المتحدة - قد ساعدت على تجزئة الحرب إلى صراعات متعددة ومناوشات محلية لن تنتهي بالضرورة بأي اتفاق سلام. اليمن الآن خليط من إقطاعات مدججة بالأسلحة ومناطق فوضوية، حيث يزدهر القادة ومرابحو الحرب وآلاف من اللصوص، مثل أيمن عسكر.

هناك حرب إقليمية بين الشمال والجنوب - كانت دولًا منفصلة ومتحاربة في كثير من الأحيان قبل عام 1990. هناك صراع طائفي بين الزيديين الشيعيين، مثل الحوثيين والسلفيين السنة. وإلى جانب خطوط الصدع الرئيسية هذه، هناك العديد من الصراعات الأصغر، التي اشتعلت وتفاقت بسبب المال والأسلحة التي توفرها قوى خارجية لأي شخص يُنظر إليه من أجل تقدم أجنده.

الحكومة اليمنية - مع عشرات من الوزراء ونواب الوزراء - تعاني من خلل وظيفي وفساد، ومنذ 2015 تبقى الحكومة في المنفى في مجمع فنادق سعودي. لديها جيش من أكثر من 200,000 جندي، على الرغم من أن العديد منهم لم تسلم لهم رواتب، أو موجود كأسماء جنود وهميين، والتي يتم الاستيلاء على رواتبهم من قبل ضباط مسؤولين عنهم.

التحالف الذي تقوده السعودية نفسه مليء بالنزاعات والمنافسات، حيث يتبع كل من أعضائه الرئيسيين أجندة منفصلة وكل طرف يتآمر ضد الآخر.

من نقاتل في اليمن؟!

في تعز، وهي مدينة في وسط اليمن تعرضت للحصار والقصف من قبل الحوثيين منذ أكثر من ثلاث سنوات، انقسم المقاتلون في قوات التحالف إلى أكثر من عشرين فصيل عسكري منفصل - بما في ذلك ميليشيات محلية مدعومة من الإمارات وترعاها، وكذلك تنظيم القاعدة وجهاديون آخرون. بعض المقاتلين ينتقلون بين الجانبين لمن سيدفع لهم الأموال.

قبل عامين، عندما ذهب شيخ عشائري سني من البيضاء - على خط الصدع التقليدي بين الشمال الزيدية والأراضي السنية الجنوبية - لطلب المساعدة من الإمارات في معركته ضد الحوثيين، أخبره جنرال إماراتي أن المتمردين الحوثيين "لم يعودوا أولوياتنا أو أكبر عدو لنا". وقيل للشيخ إنه إذا كان يريد أسلحة من الإمارات، فإنه يجب عليه أن يقاتل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة والإصلاح - وهو حزب سياسي إسلامي يلعب دوراً في نفس الحكومة التي أرسلت الإمارات ظاهرياً قوات إلى اليمن للدفاع عنها.

الآن هناك ثلاث قوى مختلفة تقاتل عبر أراضي الشيخ، يدعم كل منها واحد أو حتى اثنين من الفصائل الرئيسية في التحالف: الإمارات، السعوديون والحكومة اليمنية. تلقى كل جيش في هذه المنطقة من التلال الممزقة والأحجار البركانية السوداء ملايين الدولارات من المعدات العسكرية والشاحنات من الذخيرة والرواتب للمقاتلين. وفي الوقت نفسه، لم يعد بإمكان المزارعين في هذه الأراضي نفسها شراء البنزين لجرارتهم وهم يتساجرون من أجل الحصول على حمار ويدفعون خلفه المحاربت الخشبية بينما يصبح أطفالهم مقاتلين وميليشيات.

سبقت الحرب الأهلية المدمرة التي بدأت في عام 2015 سنوات من أجل الإعداد، وكانت الشرارة الكبرى قد أشعلت عام 2011، وسط فورة الربيع العربي، عندما طردت حركة احتجاج شعبية الرئيس السابق علي عبد الله صالح من السلطة.

كان صالح قد حكم من خلال نظام معقد من الفساد والرعاية لمدة ثلاثة عقود، ولكن خلافاً لغيره من الطغاة العرب

المخلوعين لم يذهب إلى السجن أو الفرار من البلاد. وبدلاً من ذلك، سمحت له تسوية متفاوض عليها بدقة، توسطت فيها الأمم المتحدة وجيران اليمن في الخليج، بالتخلي وتجنب الملاحقة القضائية في حين تولى هادي، نائبه، منصب الرئيس. لكن في الوقت الذي ناقش فيه ممثلو مختلف الفصائل في البلاد عملية انتقال سياسي في العاصمة، وفي الشمال والجنوب، كانت بعض هذه القبائل والأحزاب نفسها تحارب من أجل فرض إرادتها على الأرض، وتمزيق البلاد عن بعضها البعض ودفعها نحو حرب أهلية أخرى.

من بين هذه القوى المتناحرة الكثيرة، كان الحوثيون، هم الأكثر تنظيماً وإيديولوجياً. كانوا يعتقدون أن لديهم مهمة إلهية. كان حسين بدر الدين الحوثي، مؤسس الحركة، زعيماً دينياً زدياً هاجم فساد نظام صالح وأعلن عن خليط من الألفيولوجية المعادية للغرب والإحياء الإسلامي.

في أواخر عام 2014، سار الحوثيون من الشمال واستولوا على العاصمة صنعاء - بمساعدة وحدات الجيش التي ما زالت موالية للرئيس صالح. بعد فرار هادي جنوباً إلى عدن في بداية عام 2015، اقتحم الحوثيون المدينة وأرسلوه إلى المنفى. بعد يوم واحد من ظهوره في الرياض، بدأ تحالف بقيادة السعودية يضم جيوش دولة الإمارات وقطر والبحرين والسودان ومصر، بدعم من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، في قصف صنعاء نيابة عن الحكومة اليمنية المنفية.

أجبر الحوثيون هادي على الخروج، لكنهم لم يتمكنوا من احتلال عدن بالكامل. وبين ليلة وضحاها تقريباً، كانت المدينة مليئة بالرجال المحليين الذين كانوا يستخدمون البنادق مع "قادتهم" - الذين تجمعوا في المدارس والمباني الحكومية والساحات. لم يكن هناك هيكل أو تنظيم؛ تجمع الأصدقاء أو النشطاء أو الجيران أو الأقارب حول زعيم حي جاذب أو ممول أو سفاح. بعضهم كانوا من السلفيين، وبعض الانفصاليين الجنوبيين، وبعض أعضاء القاعدة، وبعضهم فقط من الشباب العاطلين عن العمل. في كثير من الأحيان لم تكن هناك خطوط واضحة تفصل بين هذه المجموعات.

يمكن للقائد أن يكون انفصالياً جنوبياً وسلفياً على حد سواء، وأن الكثير من الشباب الذين انضموا إلى الجماعات الجهادية لم يفعلوا ذلك عن إيمان بالأيدلوجيا. ولكنهم كانوا يكرهون الحوثيين ويعجبون بتأثير الجهاديين والإمدادات الوفيرة من الأسلحة. لقد جنّبوا كل خلافاتهم واتحدوا على هدف واحد: محاربة الحوثيين.

لم تكن كل فصائل المقاومة غير منظمة. كان السلفيون، الذين أسسوا قاعدتهم في ملعب لكرة القدم، متفانين ومتحمسين ومنضبطين، وسرعان ما برزوا كأقوى عنصر في المقاومة ضد الحوثيين. "كان السلفيون قد اتخذوا قراراً بمحاربة الحوثيين حتى قبل دخولهم إلى عدن".

وقال شيخ سلفي، كان يقود قوة تابعه له قبل بضعة أشهر لـ"صحيفة الغارديان،" بالنسبة لنا كانت الحرب تدافع عن طبيعة المجتمع السني. لقد حاربنا الحوثيين كقوة دينية. خاض الجميع تحت قيادتنا: الفصائل الدينية، الجنوبيون، بلطجية الشوارع وحتى القاعدة."

ولأسباب طائفية وأيديولوجية، أصبح السلفيون قناة للأسلحة والأموال التي يرسلها التحالف العربي، ما ساهم في تمكينهم أكثر.

وقد جمعت الحرب الحماسة الانفصالية لاستقلال جنوب اليمن مع السلفية والطائفية المناهضة للشيعية. كان خليطاً متفجراً، واجتاح المدينة. كان أي شخص من الشماليين مشتبهاً به، وتم القبض على المئات واحتجازهم في الإستاد، بتهمة أنهم عملاء حوثيين. في ديسمبر/كانون الأول 2015، تم حفر مقبرتين جماعيتين في مكان قريب.

احتلال الحوثي لعدن استمر لمدة أربعة أشهر فقط. بعد طردهم، كان لدى الانفصاليين في الحراك الجنوبي آمال كبيرة. لأول مرة منذ عام - 1994 عندما سحق الشمال الجيش الجنوبي بسهولة لإنهاء محاولة الانفصال - أصبحت المدينة خالية من أي سيطرة شمالية. جميع قوات الأمن كانت في أيدي الجنوبيين، وكان لديهم أسلحة وحليف قوي، الإمارات، التي سيطرت على الجبهة الجنوبية.

التعذيب

في اليمن، وفقاً لتقرير الأمم المتحدة الذي نشر هذا العام، فإن جميع الأطراف كانت تحتجز المشتبه بهم دون محاكمة، وتعذب السجناء. كان الحوثيون يعملون على إخفاء الكُتاب والصحفيين ونشطاء حقوق الإنسان حتى قبل بدء الحرب.

لكن لا أحد يستطيع التنافس مع الاعتقالات والتعذيب والاختفاء القسري من قبل القوات التي ترعاها الإمارات. حملة إرهابية لم يسبق لها مثيل تبعت تشكيل هذه القوات في عام 2016. في الليل استولى رجال اقوياء يقبضون على أشخاص من وسط أسرهم. لا أحد يعلن مسؤوليته عن عمليات الاختطاف هذه. على الرغم من أن العمل تم إطلاقه ظاهرياً لمحاربة القاعدة، إلا أن الأهداف توسعت لتشمل أي شخص تجرأ على معارضة الوجود الإماراتي في اليمن.

قابلت في الصيف محامي حقوق إنسان يعمل مع وزارة العدل اليمنية، وجمع قوائم بالمحتجزين وجمع الشهادات منهم وعائلاتهم. "بعد معركة عدن توقعنا أن يشكل الإماراتيون جيشاً واحداً من المقاومة ، وبدلاً من ذلك ، قاموا بإنشاء عشرات من القوات وهم يحتجزون أي شخص يعارضهم"، كما أخبرني.

يقول أيضاً "أصبح تنظيم القاعدة ذريعة - أي شخص لا يوافق عليه يتم اعتقاله، ويتم تعذيب جميع المعتقلين تقريباً، وغالباً ما يتم تعليقهم في السقف، والعديد منهم يتعرضون للإيذاء الجنسي. الشيء المحزن هو أن الجنوبيين الآن يعذبون الجنوبيين بمباركة الإماراتيين، بينما تقف الحكومة اليمنية عاجزة وتراقب".

وضعت كومة من الملفات أمامي - تعتقد أن هناك ما لا يقل عن 5000 حالة. وقالت محامية "ليس لدينا قوة ... نطالب بزيارة السجون لكنهم لا يجيبون". مضيئة "حتى لو كانوا حقا القاعدة، لا يمكن أن يتعرضوا للتعذيب من هذا القبيل. إنهم يخلقون قنبلة موقوتة لكل هؤلاء الناس الذين تعرضوا للتعذيب - وضع الأبرياء مع الجهاديين والأطفال مع كبار السن في غرف مكتظة".

قالت لي إن عدن ترتجف من الخوف. كانت الحياة أسهل أثناء الحرب - لقد تجنبنا الخطوط الأمامية وبقيت في الداخل. "لقد غلبنا البطاطا وأكلناها بخبز، لكننا شعرنا بالأمان. الآن نحن نعيش في خوف".

بعض السجناء لا يعرفون سبب احتجازهم. وكان شاب جامعي يرتدي نظارة طبية، كان يحب قراءة كتب التاريخ ومناقشتها مع أصدقائه في حانة للشيشة، اقتحمها العام الماضي رجال ملثمون، وتم وضعه في مؤخرة شاحنة صغيرة، ودفع رأسه إلى الأرض، واقتيد إلى غرفة بلا نوافذ حيث احتجز لمدة ثلاثة أسابيع. وقد تم استجوابه عدة مرات، ولكن غالباً ما ترك بمفرده. في بعض الأحيان كان يعتقد أن سجنائه قد نسوه. قبل إطلاق سراحه، أخبره المحقق أنه من الأفضل عدم الحديث عن "هذه الكتب التي تقرأها" علناً، وتم إرساله إلى المنزل.

تم اعتقال العديد من الأشخاص للضغط على أفراد العائلة فقط. في مقهى مضاء بشكل مشرق بجوار مركز تسوق مزدحم - مليء بالعائلات، شابات في عباءات سوداء طويلة وصببية في بنطلونات جينز ضيقة وسط تحدي جاذبية المانجو وعصير الليمون وأكل البرجر والدجاج المقلي - قابلت عبد الله، طالب جامعي شاب. شرب عصير الليمون الخاص به بصمت، وكشف عن بشرة مشوهة على جانب ذراعه كلما رفع كأس العصير الزجاجي.

تم اعتقال العديد من الأشخاص للضغط على أفراد العائلة فقط. في مقهى مضاء بشكل مشرق بجوار مركز تسوق مزدحم - مليء بالعائلات، شابات في عباءات سوداء طويلة وصببية في بنطلونات جينز ضيقة وسط تحدي جاذبية

المانجو وعصير الليمون وأكل البرجر والدجاج المقلي - قابلت عبد الله، طالب جامعي شاب. شرب عصير الليمون الخاص به بصمت، وكشف عن بشرة مشوهة على جانب ذراعه كلما رفع كأس العصير الزجاجي.

وفي منتصف الليل قبل عام، قام رجال ملثمون بقرع باب منزله، وأخبروه أنه مطلوب للاستجواب، وأكد لوالدته أنه سيعود في الصباح. قاموا بتعصيب عينيه ووضعوه على ظهر شاحنة صغيرة. عندما أخذوه من الشاحنة، أدرك أنه كان في قاعدة سيئة السمعة في مقر قائد قوات الحزام الأمني في عدن أبو اليمامة - ضابط مخضرم في النضال الطويل من أجل استقلال الجنوب الذي أصبح وكيلا للإمارات.

نُقل عبد الله إلى زنزانة صغيرة وغادرها لوضع ساعات. "قبل الفجر، دخل أربعة رجال إلى الزنزانة. بدأوا في ضربني وطلبوا مني الاعتراف بأن أخي كان يعمل مع الجهاديين. أقسمت أنه لم يكن. كان لديه محل صغير لإصلاح الهواتف النقالة وأجهزة الكمبيوتر. لم يكن حتى يصلي".

التجاوزات

أخذ زجاجة ماء صغيرة من المائدة، سكب قليلاً وسقطت بضع قطرات على طاولة بلاستيكية بيضاء. قال لي أحدهم: "أحضر زجاجة مثل هذه سلمته وبدأ يرش [شيء] على ظهري". "شممت رائحة البنزين [فقط] قبل أن يقوم بإشعاله. ركضت حول الغرفة اصطدمت بالجدران وصرخت بصوت عالٍ إلا أن الحراس جاءوا وأطفئوا النار".

ما لم يكن يعرفه آنذاك هو أنه تم تصويره، وأن أخاه كان قد اعتُقل بالفعل، لكنه رفض الاعتراف. "عندما عرضوا الفيلم على أخي، وقع اعترافاً على الفور".

نُقل عبد الله إلى عيادة، وبعد تدخل من قبلي قوي، بعد ستة أشهر، خرج. ورفع حافة قميصه ليُظهر لي ظهره، حيث كان الجسد مشوهاً. ولم يتم مجارحته بعد أن وقع شقيقه ولم يتم إطلاق سراحه.

عندما سألت الغارديان الشيخ السلفي عن هذه التجاوزات، نظر بعين الاعتبار إلى نقطه وسطية وقال إنها ارتكبت من قبل الشركاء المحليين لدولة الإمارات. وقال: "إن سياسة استهداف واحتجاز المشتبه بهم من القاعدة مقبولة دولياً،

والإماراتيون شركاء مع الولايات المتحدة في ذلك". قال "لتستهدف وتختفي مشتبهاً في القاعدة - هذا جيد. ولكن لوضع رجل في السجن لمدة عام، وتعذيبه لمجرد أن ابنه متهم بالانضمام إلى القاعدة، هذه مشكلة".

الميليشيا التي تثير الرعب

أبو اليمامة هو اسم يجعل الرجال يرتجفون في عدن. إنه فخور جداً بوحدات النخبة - التي تدرّبها القوات الخاصة الإماراتية - الذين هم أكثر من أي شخص آخر، مرتبطين بأسوأ الأعمال الوحشية. جلست إلى جواره في صباح أحد الأيام على قاعدته في حين كان يشاهد مجموعة من قواته، جميعهم يرتدون الأسود، اقتحموا غرفة فارغة وأخرج أحد مقاتليهم، وتدافع إليه بقوة على أرضية خرسانية قبل وضعه على الجزء الخلفي من شاحنة صغيرة وانطلقوا بسرعة بعيداً. كرروا نفس التمرين عدة مرات.

في وقت لاحق، في مكتبه، رفض اليمامة جميع مزاعم الاحتجاز التعسفي والتعذيب واعتبرها مؤامرة من جماعة الإخوان المسلمين للإضرار بسمعة قواته. وتساءل "ماذا يتوقعون مني أن أفعل للناس الذين يتجولون في الشوارع بأحزمة ناسفة؟" "أرسل لهم بعض الورود وأدعوهم بأدب ليأتوا لزيارتي؟"

المجلس الانتقالي

أسست الإمارات كيانات موازية للدولة من بينها المجلس الانتقالي الجنوبي الانفصالي، وقال أحد زعماء المجلس للغاردیان: "الآن لدينا جيش، ونحن نسيطر على الجنوب، ولدينا حليف إقليمي يقف إلى جانبنا"، يحظى المجلس بدعم قوي من دولة الإمارات. (كان إنشاء المجلس الانتقالي الجنوبي واحدة من 16 نقطة في "خارطة الطريق" التي حددها الشيخ السلفي، وهو أحد أعضائه).

وقال القائد في المجلس الانتقالي "لم نكن يوماً بهذا القدر من القوة في الجنوب، يقول الناس أننا تحت سيطرة الإماراتيين، كما لو أنهم يستطيعون تسييرنا بواسطة جهاز تحكم عن بعد. لكن الإمارات ليس جمعية خيرية. بالطبع لديهم مصالح - تأمين الساحل، التخلص من القاعدة، وإقامة دولة صديقة هنا في جنوب اليمن. كان الإماراتيون

بحاجة إلى شريك، وعندما رأوا فشل حكومة هادي، كان عليهم أن يتخذوا إجراءات".

لكن حلم استقلال الجنوب لا يزال محاطاً بالأساطير. في نقاشهم حول الجنوب القديم، ينسى العديد من الانفصاليين الحديث عن الجوع والقمع في تلك السنوات، ويتغذون بسهولة على تاريخ الصراع والانقسام. أبطال الاستقلال، الذين طردوا البريطانيين في الستينيات - ثم ألغوا النظام القبلي، وحرروا النساء، وقضوا على الأمية، ووسعوا امتداد البيروقراطية إلى ما وراء حدود عدن البريطانية إلى أبعد قرية في الصحراء - انتهى الأمر معهم كما ينتهي بين كل الثوار.

وأصبحت خلافاتهم حول النظرية الاشتراكية وشكل الدولة حتمية وعنيفة، وبلغت ذروتها في الحرب الأهلية التي استمرت عشرة أيام في الجنوب في عام - 1986 التي كان المنفيون، هادي من بينهم، قد نُفيوا إلى الشمال قبل أن يعودوا منتصرين عندما هزم الشمال بسهولة الجيش الجنوبي في عام 1994. الآن أولئك الذين خسروا في عام 1994 يقفون مع الإماراتيين، بينما هادي وحلفاؤه ضدهم.

بطبيعة الحال، التاريخ ليس في حلقة - ولكن تماماً مثلما جعل الأميركيون، بجهل شديد، المسرح لحرب أهلية وحشية في العراق بتحالفهم مع جانب واحد، لذا خلق الإماراتيون الظروف لاستئناف النزاع وخلق حرب أهلية جديدة.

وقال أحد أبرز الناشطين الجنوبيين للغادريان، "أنا لا أريد الجنوب [المستقل] بعد الآن. لسنوات عديدة، حلمت أنا وأصدقائي بالجنوب، لكن إذا كانوا منقسمين الآن، فماذا سيحدث عندما يصبحون دولة؟ سوف يقتلون بعضهم البعض في الشارع كما كانوا يفعلون من قبل".

سرعة في كسب الأعداء

وقال كاتب التقرير "في زيارتي الأخيرة للشيخ السلفي في عدن، وجدته يائساً. وقال: "الجنوب كان يحكمه الجنوبيون على مدى السنوات الثلاث الماضية، ومع ذلك فقد كان فشلاً". وأصر على أن الإماراتيين يجب أن يظلوا، لأنهم إذا غادروا، يمكن أن تسقط عدن بسهولة مرة أخرى، وستقاتل كل هذه الوحدات بعضها البعض. نحتاجهم للبقاء. في الوقت نفسه، أشعر بالإحباط من الأخطاء التي يرتكبونها. أفهم أنهم ما زالوا يتعلمون، لأنهم لا يملكون الخبرة كدولة

إمبريالية، لكنهم يتصرفون بغيرسة دولة إمبراطورية. "

وختم قائلاً: "أعلم أن عامين ليست مدة في حياة أمة تحاول بناء إمبراطورية، ولكنه وقت قصير جداً لتحويل أصدقائك إلى أعداء لك".

[المصدر](#)